البيت ليس فندقاً ولا مطعماً

رد على تعليق

"الزوج المصرى يعتبر البيت فندقا ومطعما لا أكثر، فهو لا يدخل البيت إلا ليأكل وينام، ويكاد لا يعرف من البيت إلا غرف الأكل والنوم.
هذا أمر يقرره الجميع ولا يختلف فيه أحد.
ولكن من المسئول عن هذه الحالة السيئة؟
الزوج يزعم أن السيدة المصرية عاجزة عن أن تحبب البيت إلى الرجل، والزوجة تزعم أن الرجل هو السبب فى هذا العجز. فأين الحقيقة؟
إننا ندع باب هـذا النقاش مفتوحا على مصراعيه حتى تظهر الحقيقة فيعرف كل من الفريقين عيوبه فيصلحها. أما اكتفاء كل فريق بالتنصل من المسئولية مع بقاء هذه الفوضى فى البيوت فأمر لا يجوز السكوت عليه"
المحرر

... رئيس تحرير مجلة الشئون الاجتماعية

قرأت المقالين المتعين المنشورين تحت هذا العنوان فى العددين الثالث والخامس من هذه المجلة. أما الأول فنصح ونقـد لأولئك الأزواج الذين لا يعرفون للبيت فائدة إلا الغداء والقيلولة ظهرا والنوم ليلا، فهو عندهم فنـدق للنوم ومطعم للأكل، والزوجة والأولاد لا يتمتعون بالمؤانسة أو المسامرة التى هى من حقهم على الوالد. بل يكاد الوالد ينسى واجباته نحو أبنائه، وينتهى إلى أن يعتبرها من شئون الأم وحدها، ثم تتفاقم هذه الحال فيعتاد الزوج غشيان القهوة أو الملهى أو النادى، ويصبح فى شبه انفصال عن الزوجة والأولاد، فلا يرونه إلا ساعة الغداء.

وأما الثانى فتعليق من "قارئ" يعتذر عن هجر الأزواج بيوتهم، ويحاول إلقاء الذنب فى هذا الهجر على إهمال الزوجات وجهلهنّ وفوضاهنّ، ويعرض على الناس صورة من حياة بيته، فيها ما يضحك وفيهـا ما يبكى، ولقد رجوتم فى تقديمكم لمقاله أن تكون المبالغـة فى الوصف قد طغت على الحقيقة، أو ألا تكون لهذا البيت أشباه كثيرة فى مصر.

وإنى وأنا زوجة وربة بيت من بيوت الطبقة الوسطى، أحب أن تطمئنوا إلى صدق ما رجوتم، إذ لا شك أن المبالغة والخيال كان لهما نصيب فى رسم هذه الصورة العجيبة.

وهذه المجموعة الهائلة من العيوب ومظاهر الفوضى ، التى أوردها فى مقاله قد كان يمكن أن تلتقى فى بيت مصرى واحد ، وفى زوجة واحدة ، قبل أن تأخذ مصر من الحضارة والعلم النصيب المحمود الذى أحرزته فى الزمن الأخير .

لقد انتهى "قارئ" إلى الهبوط بالبيت المصرى حتى عن منزلة الفندق أو المطعم ، وإنى مع وضوح تحامله وتهويله لا أرى بأسا من مسايرته فيما زعم ، ومناقشته فيما رسم .

هو — كما حدث عن نفسه — زوج يذهب إلى داره فى الظهر متعبا بعد عمل النهار الشاق ، مشوقا إلى بعض التسلية والراحة ، لكنه يرى بين زوجته وبين أولاده وخادمه مشاحنات عنيفة يتخللها ركل بالقدم وقذف بالقبقاب ! ويسمع منها قبل الغداء وعلى المائدة شكاوى ضد الأطفال والخدم والجيران ، ومطالب خاصة "بالفساتين" وتخزين البيت ، ويتعرض لمماكسات أولاده وأخذهم بتلابيبه ، وإذا حاول النوم بعد الغداء أرقه ضجيج السيدة والخادم والعيال والبيانو الطواف فى الطرق ، وهو لا يرى من زوجته حفاوة به ولا بشاشة تسره ، بل هى تلبس فى المنزل الرخيص والبالى من الثياب ، وتدخر بديع الملابس وجميل الزينة للشارع وللسينما ، وهو محجوب عن سماع ما يذيعه الراديو من المحاضرات ، وعن قراءة المفيد من الكتب والمجلات ، لأن زوجته عدو لهذه وتلك ، ثم هو متهم عندها بالتطلع إلى الجارات كلما أطل من النافذة ، وبقضاء الليالى مع الخليلات ما دام لا يستصحبها إلى الزيارات أو دور السينما إلا لماما .

ثم إن مصفاة النحاس ، بما تحوى من بطاطس أو قلقاس ، توضع تحت السرير ، والكنكة والثوم ، تدقهما زوجته فى غرفة النوم ! والبطيخ والشمام تتدحرج تحت الكراسى ، وملابس الزوجين الداخلية تنشر على الحبال فى "البلكون" وتظل معروضة على أنظار المتفرجين ! .

وأخيرا أورد حضرته قصة لطيفة ، لزوج تعلم فى مصر وفرنسا ، دخل داره ليلة فوقع نظره على شبح هائل يتوسط الدهليز وعلاؤه ، فلما تحسسه وتبينه رآه جملا ! وكانت زوجته قد أعدت هذا الجمل لحفلة زار تقيمها فى اليوم التالى .

وقصة الجمل حقيقية عرفناها فى حينها ، وقد نسى الراوى أن يذكر أنها أدت إلى طلاق صريح .

*
* *

هذه الصورة ، بما فيها من حقائق ومبالغات ، هى العذر التى قدمه صاحب التعليق ، عن هجره البيت واكتفائه منه بالأكل والنوم .

ولقد قلت إن فيما سرده من المساوئ مبالغة وتضخيما ، وأعود فأقول إن لهذه المساوئ وجودا ، ولكنها موزعة لا مجمعة ، ولو سلمنا بوجودها معا فى بيت واحد ، فإنما تكون هذه الصورة البغيضة أثرا من ماض يسير فى طريق الانقراض ، و بقية عهد أخذ نور المدنية يبدد ظلماته ، وجعلت تهذبه روح العصر ومقتضيات التطور وتقارب البيئات وسرعة التقليد والاقتداء .

ومن الظلم أن يلقى ذنب هذه الحال على الزوجات وحدهن ، وأن يتذرع بها الزوج لهجر بيته وقضاء أكثر وقته فى المقاهى والملاهى ، و بين الأصدقاء والصديقات .

إذا كان الرجال قوامين على النساء فإن هذه القوامة تقتضى أن يرشدوهن و يعلموهن ، و يروضوهن على تعرّف أهوائهم وأمزجتهم ، وتحرى ما يرضيهم و يشرح صدورهم ، ويحببهم فى البيت ، و يربط بين قلوبهم وقلوب أولادهم برباط الحب الصادق الوثيق .

إن معنى هذه القوامة أن الرجل زوج وأب ومعلم وممرض وصديق وسمير فى آن واحد، وليس معناها أن الزوجة مجرد متاع ، وأن الأولاد حمل على الكاهل ، أو أن الزواج فى ذاته شر لا بد منه كما يقول البعض ، أو أن المرأة نعل فى قدمى الرجل كما يعتقد بعض أجلاف الريف ، أو أنها معمل لتفريخ الأولاد كما زعم أحد الخطباء فى محاضرة ألقاها منذ سنوات !

إن الجهل الذى ساد النساء أجيالا طوالا قد أخذ يتبدد ولا شك . لكن هذه العقائد الفاسدة عن المرأة لا تزال متمكنة فى رءوس كثير من الرجال مع الأسف الشديد .

ولا يزال كثير من الرجال يظلمون المرأة و يرهقونها بإلقائهم عليها كل عبء المنزل والأطفال ، وقد نسوا أن المرأة وحدها ليست كفئا لحمل هذا العبء دون مساعدة الرجل و إرشاده واشتراكه ، و إذا كان هو يدل عليها بأنه يتعب جسمه للعمل فى سبيل رزقها ورزق أولادها ، فالرد عندها حاضر ، وهو أن جسمها الضعيف يقاسى من الحمل والوضع وخدمة البيت فى الطهى والتنظيف وغيرهما أهوالا شدادا ، ومتاعب تذهب بنضارته و بجماله وقوته عاما بعد عام ، ولعل ما يصيب جسم المرأة و جمالها من النقص بعد هذا العناء المتواصل ، هو الذى يجعل زوجها يسأمها على مر السنين ، وهو الذى يجعل حبه لها آخذا فى التناقص والتضاؤل، فهو يلتمس المتاع عند زوجة أخرى أو خليلة إن كان ممعنا فى الغدر، أو يلتمس السلوة والإيناس عند جلساء المقهى وزملاء الملهى إن كان فيه بقية وفاء للزوجة وعطف على الأولاد .

والذى يقارن بين تلهف الرجل إلى لقاء زوجته أيام الخطبة وقبيل " الدخلة " وفى الأشهر الأولى للزواج، و بين فتوره عنها بعد ذلك، شيئا فشيئا، يدرك صدق ما أقول .

* * *

هل ينكر " قارئ " أن كثيرا من الأزواج لا يعرفون ولا يطرقون من غرف البيت سوى غرفتى الطعام والنوم ، وأنهم قلما يتفقدون المطبخ أو حجرات الأولاد ، وقلما يقترحون صنفا من الأطعمة إلا يوم يحل عليهم ضيف ، وما أنشط الزوج فى نقد الأصناف كل يوم ، وفى الاعتراض على طريقة الطهى وأسلوب التنسيق ونوع الخبز ولون " الفوط " والمفارش ونظافة الشوك والملاعق ، مع أنه قد رفض فى الصباح أن يجيب زوجته حين سألته عما يشتهى من ألوان ، وما يؤثر من نظام ، فهو كمن يأبى الاشتراك فى البناء، ولا يتأخر عن حمل المعول للهدم !

وهل ينكر " قارئ " أنه لو كان حازما وصادقا فى حبه للنظام ، لكانت إشارة منه أو كلمة أو غضبة ، كافية كل الكفاية لوضع كل شىء فى نصابه ، ولزجر الزوجة عن وضع البطيخ تحت الأرائك ، والقلقاس تحت السرير ، وعن نشر الملابس الداخلية فى " البلكون" وعن دق الكفتة والثوم فى غرفة النوم ، إلى آخر ما عاب به ربات البيوت ؟ !

وهل ينكر أنه لو كان مهيبا فى بيته ، حسن السياسة لرعيته ، لما تجاذب أطفاله ثيابه ، ولا اجترءوا على الصراخ فى حضرته ، ولا تكاثرت منهم ومن أمهم الشكاوى والمطالب ، ولا استطاعوا أن يزعجوا يقظته ويؤرقوا منامه ؟

على أن هذه الهيبة لا تأتى ابتداها ولا تنال عنوة واعتسافا ، وإنما تكتسب بالمثابرة على البيت والاشتراك العملى فى تدبير ميزانيته وإدارة شؤونه من طعام إلى لباس إلى مباشرة لتربية الأطفال وتعهد صحتهم ، وتعقب مراحل دراستهم وصيانة أخلاقهم ، إلى مراقبة للخدم واطلاع على أعمالهم ، ودأب فى تهذيبهم آنا وتأديبهم آنا .

قلت إن كثيرا من الأزواج يحسبون كل هذه الشئون من خصائص الزوجة ، ويرون أنهم معفون منها بحكم العرف والقانون ، والواقع أن هذه الشؤون جميعا شركة بين ربى البيت ، فلا يجوز أن يضن الرجل على شريكته بالمساعدة والتوجيه ، ثم يوجه إليها النقد والملام .

إن أكثر هؤلاء الرجال يجرون بعد الزواج على النحو الذى جروا عليه أيام العزوبة ، حين لم يكونوا مسئولين عن شىء ولا عارفين من مطالب الحياة إلا أن يأكلوا وينام‍وا ويلهوا ، ولا ناصبين اهتمامهم وجهدهم إلا لخدمة أنفسهم ، ولا مدركين معنى الحب الذى تجتمع عليه قلوب الآباء والبنين ، أو الأزواج والزوجات .

أولئك يستمرون كما كانوا فى تلك الأيام ، ويعسر عليهم أن يتعودوا المسئولية ورعاية من فى ذمتهم من نساء وبنين ، وأن يأخذوا أنفسهم بالنظام ، فأولئك هم الذين يفلت من

أيديهم القياد ، ولا تتوفر لهم السيادة الكاملة على البيت ، ولا يستطيعون ضبط شئون المنزل بل هم يزهدون فى ذلك زهدا ، ويفوتهم ما فى الحياة الزوجية من سعادة ولذة .

وإنما ينال هذه السعادة ، ذلك الزوج البصير الذى يكرس جانبا كبيرا من وقته للتشاور مع زوجته ، والتسامر معها ومع أولاده ، حتى لا تكون بينه وبين امرأته نقط خلاف ، وحتى يتقارب طبعه وطبعها ، وتتوحد ميوله وميولها ، وتتمازج روحه وروحها ، وينشأ الأولاد بينهما ، وفى ظل تعاونهما ، نشأة صالحة كريمة .

هذا هو الزوج الذى نريده نحن السيدات ، ونفرح بشركته وتعمل على توفير أسباب السرور له ما استطعنا ، لأنه يعيننا على ذلك بمعاشرته لنا فى البيت وخارج البيت ، فيكون راعيا وحاكما ، وأبا ومعلما ، وسيدا وخادما ، ومنظما ومرشدا ، وأنيسا وسميرا .

نريد الزوج الذى يقول لزوجته ، اطبخى كذا ، والبسى كذا ، ولماذا لم تفعلى هذا ، ولماذا فعلت ذاك ؟

نريد الزوج الذى يقول لولده : ماذا تعلمت اليوم فى المدرسة ؟ وأين دفترك ؟ وأين كتابك ؟ وهل أديت الواجب الذى كلفك المدرس ؟ وأين هو ؟ وماذا اشتريت بالقرش الذى أعطيته لك ؟ وكم جمعت إلى الآن فى "حصالتك؟" تعال أشتر لك به ساعة ذهبية أو بدلة جميلة أو مكتبا ظريفا ...

نريد الزوج الذى يقول لطفلته : لماذا وسخت فستانك ؟ ولماذا لم تحفظى الدرس ؟ ألم أنهك عن اللعب مع بنت فلان ... وهكذا يأخذ الجميع بالنصح السديد أو التأديب الرفيق ، ويكافئ على الطاعة وسماع النصيحة والنجاح فى الدراسة بالمنحة أو باللعبة أو بالقبلة أو بغير ذلك من المشجعات .

نريد الزوج الذى لا يخلو أسبوعه من يوم يستصحب امرأته وأولاده إلى نزهة خلوية أو زيارة عائلية ، ولا يخلو من ليلة يأخذهم فيها إلى سينما أو مسرح ، ترويحا عنهم وإنعاشا لنفوسهم وأبدانهم ، وتقوية لمداركهم ، وتنمية للحب بينه وبينهم .

مثل هذا الزوج ، لا تلقاه امرأته بزى سخيف ولا بوجه متنكر ، ولا بلسان شاك أو مطالب ، ولا يلقاه أطفاله إلا متهللين مرتمين بين ذراعيه ، مشوقين إلى قبلاته ، ولا تستطيع خادمته إلا أن تكون مثالا حسنا للطاعة والنظام ، ولا يأكل إلا ما يشتهى ، ولا ينام إلا فى راحة وهدوء ، ولا تقع عينه على ما سرد " قارئ " من مظاهر الجهل والفوضى ، فلا قلقاس تحت السرير ، ولا قبقاب يرن على البلاطة ، ولا جمل يستضاف فى الدهليز !

وعلى ذكر قصة الجمل ، لا أرى بأسا من المساجلة والمقابلة ، وأرجو أن يسمح لى " قارئ " أن أورد لقصته نظيرا ظريفا ، تقع مسئوليته هذه المرة على الرجال لا على النساء .

فى " سلاملك " فخم ، فى دار فخمة ، لوجيه فخم ، من ذوى الثراء واليسار ، تستوى مرآة جميلة نادرة المثال اشتراها رب الأسرة من " ڤينيس " فى إيطاليا ، ولڤينيس إبداع خاص فى المرايا وما إليها .

دخل هذا " السلاملك " زائر من أقاربى فأعجبه كل شىء إلا كسر فى المرآة شوه جمالها وأذهب بهاءها ، وكان جواب صاحب البيت والسلاملك والمرآة ، أن " خروفا " دخل إلى السلاملك فرأى خياله فى المرآة فحسبه خروفا آخر فناطحه فكسر المرآة ! !

المسئول عن هذه الفوضى رجل ، لأن " السلاملك " من اختصاص الرجال وحدهم ، ولقد عاقب صاحب قصة الجمل امرأته بالطلاق ، فهل يرى " قارئ " أن زوجة صاحب الخروف كان يحق لها أن تطلب الطلاق ، إذا كان لا بد للسيدات من أن يكافئن الرجال بأعمالهم ، ويأخذنهم بقياسهم ؟

على أن ذلك الزوج الذى طلق زوجته من أجل جمل وزار، أو من أجل تخريف لا يزيد على تخريف صاحب الخروف ، قد أساء أخيرا كما أساء أولا .

وهو المقصر قبل الحادث وبعده، لأنه لم يجتهد من اليوم الأول لزواجه فى أن يطبع زوجته على الأخلاق والعادات والتقاليد التى يحبها ويرضاها . ولم يوالها بالإرشاد المستمر والنصح المتواصل ، ولا يأتى الارشاد ولا النصح تدريسا كالذى يلقيه المعلم فى المدرسة بقلم وكراس وسبورة ، وإنما يأتى بلطف المسامرة ، وطول المعاشرة ، وبث التعاليم الطيبة فى خلال الأحاديث والمسامرات ، وأثناء الزيارات والمشاهدات .

وهو بعد الحادث قد لجأ إلى أسوأ أنواع العلاج ، وهو الطلاق ؛ فقد كان يكفى اللوم والتقريع ، بعد النهى والتفهيم ، وأنا الكفيلة بأن امرأته ما كانت تعود إلى هذه الغلطة ، بل كانت تجتهد فى تحرى رغباته ، والعمل على اكتساب عطفه ورضاه .

إن الأزواج حريون أن يعوضونا نحن النساء — بالارشاد والتثقيف — عن تقصير آبائنا وأهلينا فى تعليمنا، إذ من الحقائق الثابتة أن ما انفق وما ينفق على تعليم الإناث ، قليل جدا بجانب ما تنفقه الدولة على تعليم الذكور، وتعليم البنت فى بلادنا حديث العهد محدود المدى إلى اليوم.

*
* *

أخيرا فلندع اللوم والتلاوم ، وليعمل الأزواج دائما — ولتعمل الزوجات معهم — على أن يشترك الرجل والمرأة فى المسئوليات ، ويوحدا أسلوب الحياة ، فإن هذا الاشتراك وهذا التوحيد ، هما السياج الذى يحمى عاطفة الحب بينهما فلا تفتر ولا تزول ، وهما الظل الذى يترعرع فيه الأبناء والبنات ، أما الهجر والاعتذار عنه بصادق الأعذار وكاذبها فإنه أن يصير البيت فندقا أو مطعما كما ذكر الكاتب الأول ، أو دون منزلة الفندق والمطعم ، كما وصف الكاتب الثانى .

" زوجة "